ويوجه سيوفهم وحلول الملائكة في المسلمين كان بكيفية يعلمها ا تعالى : أما بتجسيم المجردات فيراهم من أكرمه ا برؤيهم وأما بإراءة ا الناس ما ليس من شانه أن يرى عادة .

(وما جعله ا إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند ا إن ا عزيز حكيم [10]) عطف على (أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) فالضمير المنصوب في قوله (جعله) عائد إلى القول الذي تضمنه (فاستجاب لكم أني ممدكم) أي ما جعل جوابكم بهذا الكلام إلا ليبشركم وإلا فقد كان يكفيكم أن يضمن لكم النصر دون أن يبين أنه بإمداد من الملائكة .

وفائدة التبشير بإمداد الملائكة أن يوم بدر كان في أول يوم لقي فيه المسلمون عدوا قويا وجيشا عديدا فبشرهم ا بكيفية النصر الذي ضمه لهم بأنه بجيش من الملائكة لأن النفوس أميل إلى المحسوسات فالنصر معنى من المعاني يدق إدراكه وسكون النفس لتصوره بخلاف الصور المحسوسة من تصوير مدد الملائكة ورؤية أشكال بعضهم .

وتقدم القول في نظير هذه الآية في سورة آل عمران إلا لتعرض لما بين الآيتين من اختلاف في ترتيب النظم وذلك في ثلاثة أمور .

أحدها أنه قال في آل عمران (إلا بشرى لكم) وحذف (لكم) هنا دفعا لتكرير لفظه لسبق كلمة (لكم) قريبا في قوله (فاستجاب لكم) فعلم السامع أن البشرى لهم فأغنت (لكم) الأولى بلفظها ومعناها عن ذكر (لكم) مرة ثانية ولأن آية آل عمران سيقت مساق الامتنان والتذكير بنعمة النصر في حين القلة والضعف فكان تقييد (بشرى) بأنها لأجلهم زيادة في المنة أي : جعل ا ذلك بشرى لأجلكم كقوله تعالى (ألم نشرح لك صدرك) وأما آية الأنفال فهي مسوقة مساق العتاب على كراهية الخروج إلى بدر في أول الأمر وعلى اختيار أن تكون الطائفة التي تلاقيهم غير ذات الشوكة فجرد (بشرى) عن أن يعلق به (لكم) إذ كانت البشرى للنبي A ومن لم يترددوا من المسلمين وقد تقدم ذلك في آل عمران .

ثانيها تقديم المجرور هنا في قوله (به قلوبكم) وهو يفيد الاختصاص فيكون المعنى : ولتطمئن به قلوبكم لا بغيره وفي هذا الاختصاص تعريض بما اعتراهم من الوجل من الطائفة ذات الشوكة وقناعتهم بغنم العروض التي كانت مع العير فعرض لهم بأنهم لم يتفهموا مراد الرسول A حين استشارهم وأخبرهم بان العير سلكت طريق الساحل فكان ذلك كافيا في أن يعلموا أن الطائفة الموعود بها تمحضت أنها طائفة النفير . وكان الشأن أن يظنوا بوعد ا أكمل الأحوال فلما أراد ا تسكين روعهم وعدهم بنصرة الملائكة علما بأنه لا يطمئن

قلوبهم إلا ذلك . وجعل الفخر : التقديم هنا لمجرد الاهتمام بذلك الوعد وذلك من وجوه التقديم لكنه وجه تأخيره في آل عمران بما هو غير مقبول .

ثالثها أنه قال في سورة آل عمران (العزيز الحكيم) فصاغ الصفتين العليتين في صيغة النعت وجعلهما في هذه الآية في صيغة الخبر المؤكد إذ قال (إن ا عزيز حكيم) فنزل المخاطبين منزلة من يتردد في أنه تعالى موصوف بهاتين الصفتين : وهما العزة المقتضية أنه إذا وعد بالنصر لم يعجزه شيء والحكمة . فما يصدر من جانبه يجب غوص الأفهام في تبين مقتضاءه فكيف لا يهتدون إلى أن ا لما وعدهم الظفر بإحدى الطائفتين وقد فاتتهم العير أن ذلك آيل إلى الوعد بالظفر بالنفير .

وجملة (إن ا عزيز حكيم) مستأنفة استئنافا ابتدائيا جعلت كالأخبار بما ليس بمعلوم لهم .

(إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام [11]) لقد أبدع نظم الآيات في التنقل من قصة إلى أخرى من دلائل عناية ا تعالى برسوله A وبالمؤمنين فقرنها في قرن زمانها وجعل ينتقل من إحداها إلى الأخرى بواسطة إذ الزمانية وهذا من أبدع التخلص وهو من مبتكرات القرآن فيما أحسب .

ولذلك فالوجه أن يكون هذا الظرف مفعولا فيه لقوله (وما النصر) فإن إغشاءهم النعاس كان من أسباب النصر فلا جرم أن يكون وقت حصوله ظرفا للنصر .

A E